هدايا السلطة السياسية في العراق وهباتها في القرن التاسع عشر دراسة ثقافية

المدرس المساعد

مناف حيدر آلوس

جامعة الكوفة - كلية التربية الأساسية

munafh.almafrachi@uokufa.edu.iq

الاستاذ المساعد الدكتور

حسن ناظم عبد

وزير الثقافة والسياحة والآثار

hassannadhem@hotmail.com

Gifts and Presents of Political Power in Iraq in The Nineteenth Century, A Cultural Study

A.L. Munaf Haider Alous
Kufa University - Faculty of Basic Education
Prof. Dr. Hassan Nadhem Abd
Minister of Culture, Tourism and Antiquities

الخلاصة :

تُعدُّ الهبة من أبرزِ الظواهر الاجتماعية والاقتصادية، التي تؤثر في صوغ الثقافة العربية ولاسيما في جانبها الأدبي، ولا شكَّ في أن لهذا اللون الثقافي، بوصفه نظاماً قيمياً ممتداً، مكوناته الكامنة وتجلياته الظاهرة، وهو ما يستوجب الغوص بهما وتحليلهما معاً، واستقصاء أبرز مداخله وأسبابه الذاتية والموضوعية التي أدت إلى شيوعه وتكريسه لوناً ثقافيّا وعرفاً اجتماعيّاً سائداً.

وتكمن أهميةُ هذا العمل في دراسة هذه الظاهرةِ الثقافيةِ والقيمةِ الاجتماعية في الأدب العربيِّ، في أنها قدَّمت وصفاً وتحليلاً وتفسيراً ثقافياً للهبة في العراق في القرن التاسع عشر، وربطتها بأسبابها السياسية والثقافية والاقتصادية وبظروفها الذاتية والموضوعية بشكلٍ عام، التي وسمت القرن التاسع عشر بطابع المديح، الأمر الذي أدى إلى أن تكون القصيدة سلعةً لها قيمةٌ تبادليّة مرتبطة بمقابلها المادي على حساب قيمتها الثقافية غير التخادميّة مع السلطة القائمة.

الكلمات المفتاحية (الهبات، الهدايا، السلطة السياسية، العراق، القرن التاسع عشر، الدراسات الثقافية، الدولة العثمانية)

Abstract:

Gifts are considered one of the most prominent social and economic phenomena that impact the Arab culture, especially in its literary aspect. There is no doubt that this cultural practice, as an extended value system, has its inherent components and apparent manifestations, which necessitates deeper research and analysis, exploring its most important approaches and objective and subjective motivations that led to its popularity and dedication as a cultural inclination and prevailing social norm.

The significance of this work lies in studying this cultural phenomenon and social value in Arab literature, in that it provided a full description, analysis and cultural interpretation of the gift in Iraq in the nineteenth century, and linked it to its political, cultural and economic reasons and to its own subjective and objective conditions in general, Which marked the nineteenth century is characterized by the merit of praise that led to the poem being a commodity with a reciprocal value tied to its material return at the expense of its non-service cultural value with the existing authority.

Keywords (Gifts, Gifts, Political Power, Iraq, 19th Century, Cultural Studies, Ottoman Empire)

المقدمة

اجتاز العراق في هذا القرن مرحلةً شاقةً من مراحل حياته؛ فقد هيمنت على المجتمع العراقي سلطةٌ سياسيةٌ مستبدةٌ أدخلته في أزماتٍ متنوعةٍ في كلّ مرافق حياته. كان تأثير هذه الأزمات كبيراً على موازين الحياة الإنسانية وقيم المجتمع، مثلما كان تأثيرها على حياة الأفراد الاقتصادية، وجرّت هذه الأزمات إلى انهيارٍ اجتماعيٍ كبيرٍ، فأدّت إلى اختلال القيم الاجتماعية، وأصبحت هموم المجتمع هموماً فرديةً ذاتيةً، وأصبح كلّ شخص يبحث عن مصالحه ومنافعه في ظلّ حكمٍ استبداديٍ قمعيٍ حوّل قيم الإنسان إلى أشياء تباع وتشترى بالمال والمنصب وإضفاء الجاه والشهرة.

تمثّلت السلطة السياسية في صورة سلطةٍ مقدسةٍ أو شبه مقدسة أضفتها عليه النخب الدينية. ولم تكن هذه الصورة ذات طبيعةٍ قانونيةٍ-رسميةٍ فحسب، بل تألفت من قواعد غير رسمية خاصة بالإجلال، والولاء، والإيمان بأن السلطان يمثل النظام الأخلاقي الأعلى. وتعدّ ظاهرة إسباغ الألقاب على السلاطين من قبل الشعراء وأمثالهم خاصّة الصفات الدينية والمُثل الأخلاقية التي ترمز إلى الفضيلة، والبطولة، والسيادة والعدالة والنظام الإسلامي؛ ظاهرةً مؤثرةً في تعزيز النهج الاستبدادي والاستئثاري في السلطة وتحكمها في مقدرات الشعوب. وفي المقابل أدى تفاعل السلاطين مع هذا النهج المدحي إلى تكريسه نسقاً من أنساق التعامل مع السلطة ما يعزّز الحالة الاستبدادية أيضاً. الأمر الذي يرجح القول معه أن الواقع الاستبدادي للسلطة لم يكن قائماً على طرفٍ واحدٍ وهو السلطة السياسية فقط؛ بل هناك من الفئات التي تمثّل النخب الثقافية ما عزّزت، في خطابها الوعظي والمدحي، مع السلطة نهج السلطة الاستبدادي. لكن هذا لا يعني أنّ طرفي المعادلة، السلطة وهذه النخب، يتساويان في تكريس نهج السلطة الاستبدادي، وإنّما يتفوّق الجانب

الممسك بالسلطة بفارقٍ كبيرٍ في تكريس هذا النهج، بملاحظة النفوذ والإمكانات والتأثير، وهو ما تؤكده الوقائع والأمثلة التاريخية.

كان أغلب شعراء القرن التاسع عشر قد سلكوا في شعرهم مسلك أيّ شاعرٍ لا يرى بأساً من جعل الشعر سلعةً تهدى في سياق التزلف والتقرب إلى السلاطين والولاة أو أيّ موظفٍ من موظفي الدولة، ولا تعليل لذلك غير قسوة الحياة وطمع الشاعر وتفاوت النفسيات قوةً وضعفاً وكون الشاعر يعيش في بيئةٍ ليس لشعرائها إلا هذا المسلك الذي عملت السلطة على صناعته ثقافياً، وأعدّت لسلاك هذا الطريق ورواد هذا السوق السلطاني الهبات والمنح والقرب والزلفى منهم، مع التأكيد على أنه لا يصح إلقاء اللوم كاملاً على السلطة وحدها بل أن لبعض الشعراء الطامعين جزءاً من في تكريس هذا السياق. ويمكن تلمس أنماط الهبات والهدايا وسياقاتها الثقافية في عدة محاور كما سيأتي في ثنايا البحث.

أولاً: هدايا السلطة للعلماء وهباتهم.

نجد في القرن التاسع عشر التقاربَ واضحاً بين السلطة والعلماء، والتخادم بين السلطة السياسية والسلطة الدينية واضح المعالم، وهدايا السلطة السياسية للعلماء من أهمِّ أنماط الهبات في هذا العصر. فقد حاز علماءُ بغداد على أهمِّ المناصب في الدولة ومُنحوا الأوسمة والنياشين الفخرية والعلمية مع ما تدرّه عليهم من موارد اقتصادية.

كان الوالي داود باشا ممن عمل على التقرّب من العلماء؛ فكانت هباته عليهم ذات أثرٍ كبيرٍ في دعم سلطته، فقد أوقف موقوفاتٍ كثيرةً على جامع الآصفية، وجعل فيه مدرسين اثنين وحدّد رواتبهم في سنة (١٢٤٣هـ-١٨٢٨م)، وعمّر جامع الحيدر خانة سنة (١٢٣٤هـ-١٨١٩م)، وسُمّي في عصره بجامع الداودية نسبةً إليه، وجعل فيه مدرسةً وخزانةَ كتبٍ وجعل لنفسه حق

تغيير شروط الوقف، وكانت له وقفيّات أخرى جعلها لنفسه ثم لمن بعده، وبالنتيجة ترجع غلّتها بعد الانقراض على جامع الحيدر خانة. ويصف أحد المؤرخين ذلك بقوله: "وفي هذه الوقفيّات ما يعيّن ممتلكاته مما وقفه... ومنها يُعرف غناه وما استولى عليه"[١]، وقضية وقف الذرية حيلةٌ استعملها لاستمالة العلماء إلى جانبه، وفي الوقت نفسه يضمن عدم نهب أمواله من الولاة الذين سيأتون بعده.

ولم يكن تعامله مع العلماء على حدٍ سواء، بل كان شديداً في التضييق على العلماء الذين لا يطلبون الزلفى والقرب لديه ولا يُصانعونه ويتملقون بين يديه. ومن ذلك ما يذكره لنا مفتي العراق أبو الثناء الآلوسي في سيرة أستاذه العلامة الشيخ علاء الدين علي أفندي الموصلي الذي كان من كبار علماء بغداد وأساتذتها المرموقين، ولكنّه لعدم مداراته ومصانعته لداود باشا فقد عاش حياة البؤس والفاقة، فيقول: "ومن العجيب أنّ داود باشا على فضله، لم يعرف فضله، وأحلَّه في غير محلّه وما أجلَّه؛ وذلك لأنَّه ما صانعَهُ ولا داراه ... واتفق أن أمر له إذ ذاك ببردةٍ فأبى أن يقبل كرمهُ في المجلس وردّه، فأضمر ذلك في نفسه حتى استوزر، فأظهر من سوء معاملته إياه ما أظهر ... حتى أنّه أمر بنفيه إلى الحدباء، فحدب عليه ورجا إثباته بعض أجلاء الزوراء فأثبت ولكن في همٍ لا يُحد..."[٢]، ومن ذلك يتبيّن سلوك داود باشا في هباته ومنحه وتقريبه للعلماء، وعلى أي سياقٍ يسير، فهو يعمل على تعزيز سلوكه الاستبدادي وحكمه بأي وسيلةٍ كانت، ويزيل من طريقه أي معارضٍ وإن كان من كبار علماء العراق.

وفي سياق التخادم السياسي الديني يُهدي علي رضا باشا والي العراق للحكم العثماني المباشر إلى أبي الثناء الآلوسي كتاب **الميزان** للشعراني الشافعي[٣]، ويذكر صاحب **حديقة الورود** أن "إهداء **الميزان** إجازةٌ بتوليةِ مرجان، وهي من خواصِ مفتي الحنفية من زمن السلطان مراد خان إلى هذه

الأزمان، وكانت على ما يُحكى في الزمن القديم مشروطةً لأعلمِ أهل بغداد بكتابِ الله وحديثِ نبيه"[٤]، وجامع مرجان من الجوامع الكبيرة والتاريخية في ذلك العصر وله أوقافٌ تدرُّ خيراً كثيراً. فيمدحه الشعراء على هذه الهديّة.[٥] ويقول عبد الباقي العمري في ذلك:

بدرُ الخلافةِ قد أهدى لمخلصهِ شمس الأئمةِ يا بشرايَ ميزانا[٦]

ويقول أيضاً:

لأبـي الثنـا المحمـودِ في أفعـالهِ كشّـافُ رمـزِ معلّـمِ الفرقـانِ
أعطى الوزير علي الرضا سفراً علا بشعـارِهِ يُعـزى إلى الشعرانـي
ميـزانُ حـقٍّ للمذاهـبِ ذاهـبٌ بـعلوٍّ منصبـهِ علـى كيـوانِ[٧]

ومُنحَ الآلوسي منصبَ مفتي بغداد بعد توليته جامعَ مرجان، على إثر الخدمات التي قدمها للدولة العثمانية. وتوالت المنح والأوسمة عليه؛ فبعد شروعه في كتابة تفسيره **روح المعاني**، وإكمال المجلد الثالث من التفسير مُنح وسام الافتخار المرصع[٨] من الأستانة، فانبرى الشعراء مهنئين ومادحين له منهم عبد الغفار الأخرس بقصيدةٍ مطلعها:

لك بالمعالي رتبةٌ تختارُها فافخرْ فأنتَ فخارُنا وفخارُها[٩]

ويمدحه صالح التميمي بقصيدة يقول فيها:

أهـدى لصـدركَ جـوهراً متيقنـاً في لجِّ صدركَ معدنٌ من جوهرِ
لكنَّـهُ أهـدى نفيسـاً مظهـراً فيـه يشيرُ إلى نفيسٍ مضمـرِ[١٠]

وعندما تسوء علاقة الآلوسي بوالي بغداد نجيب باشا يُجرّده من منصب الإفتاء وتولية أوقاف مرجان. وفي سنة (١٢٦٧هـ-١٨٥١م) ترك بغداد مسافراً إلى الأستانة لغرض استعادة ما سُلب منه. وأول من قصده هناك شيخ الإسلام عارف حكمت[١١]، فعرض عليه تفسيره وما جاء من أجله ونزل دار الضيافة السلطانية وكتب كتاباً إلى الصدر الأعظم أشفعه بهذه الأبيات:

قصدتُ من الزوراءِ صدراً معظماً وقد سامني ضرٌّ وقد ساءني دهرُ
وقلتُ لنفسي والرجاء موفرٌ لنا الصدرُ دونَ العالمينَ أو القبرُ[١٢]

ثم يعود إلى مدح المستشار فؤاد، والصدر الأعظم، والسلطان بأبيات يرجو بها قضاء حاجته ليعود إلى أهله فيقول:

أرى دولةَ الإسلامِ شخصاً فرأسُهُ ملاذُ الورى السلطانُ والصدرُ صدرُه
وأنتَ بلا ريبٍ فؤادٌ وحبّذا فؤادٌ حوى العرفانَ للهِ درّه
فيا سيدي قد طالَ بالعبدِ غربةٌ فمنّوا عليه أن يُحرّر أمرُهُ
ليغدوا إلى أهليه بالخيرِ داعياً ويبقى لكم ما عاشَ بالمدحِ ذكرُهُ[١٣]

والمدح في هذه الأبيات يحمل دلالتين ثقافيتين إحداهما تعني انتماء الشاعر وولاءه للسلطة انطلاقاً من عقيدته التي تحتّم عليه طاعة السلطان مهما كانت حالته، أما الدلالة الثانية فهي دلالةٌ مضمرةٌ تخالف الدلالة الأولى، فهي توحي بأنَّ المديح لم يكن منبعثاً عن ذلك الانتماء والولاء الحقيقي، وإنما كانت الحاجة المادية هي التي أجبرت الآلوسي على مثل هذا المديح، وهو ما يكشفه البيتان الأخيران من استمالةٍ للممدوح[١٤]، ولذا نراه يكشف عن حاجته بعد استمالة ممدوحه، ويلتمس منه تحرير المرسوم السلطاني القاضي بإرجاع ما سلبه نجيب باشا منه[١٥]، فلم تلبِّ السلطة العثمانية طلبه، ولم ترجع له مناصب سلطة الإفتاء وتولية أوقاف مدرسة مرجان له، إلا أنّه صدرت إرادة السلطان بإعطائه مبلغ خمسة وعشرين ألف قرشٍ إسطنبولي وله مثلها أو ما يزيد عليها في كلّ عام من بيت المال، وراتب منصب قاضٍ في مدينة أرضروم، وأنعم عليه شيخ الإسلام بخمسين ألف قرشٍ إسطنبولي من خالص ماله.[١٦]

وألّف أبو الثناء الآلوسي كتاباً في ترجمة شيخ الإسلام جزاءً وشكراً لأنعمه عليه وأهداه له وسماه (**الصادح بشهيِّ النغم على أفنان ترجمة شيخ الإسلام ووليِّ النعم**) قائلاً في مقدمته: "فأحببت أن أشنّف الأسماع بجواهر ترجمته،

وأفوق البقاع بطراز آثار حكمته...أروي شيئاً من أحواله وأقواله، فأروي صدات عشاق العراق بنمير زلاله، ويكون ذلك هديّتي إذا عدت إليهم، وتحفتي لهم إذا قدمت بالخير إن شاء الله عليهم..".[١٧] وينشد أبياتاً في مدحه منها:

فـــردٌ بمثـــلِ كمـــالِه ونوالـــهِ لم تسـمحِ الـدنيا ولا أعصـارُها
دنيـا بهـا انقـرضَ الكـرامُ فأذنبـت وكـأنما بوجـودِه اسـتغفارُها[١٨]

عملت الدولة العثمانية أيضاً على تكريم أسرة آل النقيب الكيلانية والرفاعية، ومنحهم الهبات والأوسمة لولائهم ولما يقدمونه من خدمات لها، والسلطة مدركةٌ عظم تأثيرهم الروحي والاجتماعي على الناس. وكانت مناسبات منحهم الأوسمة والنياشين هي مواسم لارتفاع حظوظ الشعراء ورواج قصائدهم. فبعد أن يرد النيشان الممنوح للسيد علي الكيلاني النقيب[١٩] من السلطان عبد العزيز ينشد عبد الغفار الأخرس قصيدته مهنئاً فيقول فيها:

أنـتُمُ البحـرُ ومـا زلـتُ بكـم مسـتمدّاً منـكمُ البحـرَ المديـدا
فاهنـا بالنيشـانِ مـن سـلطاننا مُبدئـاً للفخـرِ فيـه ومعيـدا
ذلـك اليـوم الَّـذي وافـى بـه كانَ للأشرافِ في بغدادَ عيدا[٢٠]

وكان السلطان عبد الحميد الثاني شديدَ الاهتمام بعلماء الدين ومشايخ الطرق الصوفية، يقرّبهم ويبذل لهم الأموال والهبات، ويعبّر عن ذلك إسماعيل الواعظ في مذكراته، وكان معاصراً له في العراق: "كان يحترم أهل العلم والطرائق ويعلي قدرهم، ومن أجل ذلك جعل مجلس المشايخ ورتّب رواتب للأعضاء الذين هم فيه، وكانت نيّته حسنةً مع مرشديهم، غير أنّ المرشدين كانوا يحتالون لجرّ المغانم منه، وكان أرباب العلم ذوي رتبٍ عالية، كلّ ذلك لأجل إعلاء العلم وأهله".[٢١]

وفي عام (١٨٨٦م) أهدى السلطان شعرات النبي صلى الله عليه وآله إلى عددٍ من الجوامع المشهورة في العالم الإسلامي، فأصاب كلّ جامعٍ منها شعرةٌ واحدةٌ. وكان يوم وصول الشعرات يوماً مشهوراً في كلّ مكان وصلت إليه حيث خرج المسلمون جميعاً يستقبلونها بالتهليل والتكبير وبالدعاء للسلطان. وكان نصيب العراق من تلك الشعرات خمساً خُصِّصَتْ لجوامع أبي حنيفة والكيلاني والكاظمية وكربلاء والنجف. وكان يوم وصولها إلى جامع الأمام الأعظم يوماً مشهوداً جرت فيه احتفالات كبيرة، وقد خُصِّص للشعرة وقتٌ معينٌ، وهو آخر جمعةٍ من كلّ شهر رمضان، حيث تخرج للمصلين باحتفالٍ مهيبٍ، فيستقبلونها بالتهليل والتكبير. وكان الوالي حسن باشا يخرجها بنفسه تبركاً بها.(٢٢)

وعندما أوصل الوالي حسن باشا الشعرة المخصصة لحرم الإمام الحسين عليه السلام في كربلاء انبرى الشاعر جعفر الحلي مدحاً الوالي، وشاكراً السلطان عبد الحميد بقصيدةٍ مطلعها:

بشرى العراق ففيكَ أشرقَ نورها هي جنةُ الدنيا وأنتَ وزيرها
قد جئتَ من شعرِ النبي بطاقةٍ نفحَ الخلائقُ نشرَها وعبيرَها
فلنشكرنّ رعايةَ الملكِ الذي هو ظلّ كلّ المسلمين وسورها(٢٣)

وكأنّ هذا العمل يمثّل رعايةً للمسلمين، وظلاً يظلهم من الفقر والجوع والفساد الإداري واستبداد السلطة، فالشاعر يتغافل هذا كلّه، ويتزلف إلى السلطة مستغلاً مناسبةً اختلقتها السلطة لاستغفال الناس، متكسباً بشعره طامعاً بهبات السلطة الضئيلة، بعرفٍ شعري وثقافةٍ غرضيةٍ، جاعلاً من مجيء الوالي بشارة للعراق الذي ارتفع بطيب العيش والعدالة؛ ليكون جنة الدنيا ما دام الوالي وزير السلطان فيها.

ثانياً: هبات السلطة وهداياها لولاتها.

اهتمَّ الأدبُ بتصوير هبات السلطان العثماني إلى ولاته في العراق، وإن كانت بسيطةً غير مبالغٍ بها. ويخال للباحث أنّ بعض تلك القصائد التي قيلت في وصف هبات السلطان هي بتلميحٍ من المُهدى إليه لشاعره المتزلّف والطامع دوماً بالجائزة؛ فيسرع لنظم قصيدةٍ يؤرّخ فيها الهبة وينساق مع الأعراف الثقافية لقصيدة المديح مضخماً في الهبة وواهبها والموهوبة له.

وعندما يقوم الوالي بأعمالٍ يعزّز فيها نفوذ السلطة العثمانية، ويقضي على أعدائها داخلياً وخارجياً، فإنَّ الأستانة تقوم بمنحه خلعةً أو سيفاً أو أي شيءٍ من مقتنيات السلطان الشخصية تكريماً له. وهذا ما نجده في قصيدة لصالح التميمي مهنئاً داود باشا بورود خلعةٍ سلطانيةٍ له، فيقول:

بشائرُ نعمىً لا يقومُ لها شكرُ وتجديدُ فخرٍ لا يقابلُهُ فخرُ
تسربلَ داودُ الوزيرُ مطارفاً وما هيَ إلا الحكمُ والنهيُ والأمرُ
مطارفُ خاقانيةَ النسج لونُها لهُ الأبيضُ الفتّاكُ لا البيضُ والصفرُ
كسى العزَ آفاقَ العراقِ فأرضُهُ جوانبُها من سحبِ نائله خُضرُ
وكيف تُعَدُّ البيضُ بيضاً وفي الوغى مواضيه قد عادتْ وألوانُها حمرُ[٢٤]

عمد الشاعر إلى جعل أثواب الخزِّ الموهوبة للوالي ذاتَ دلالات تغادرُ ظاهرها لترتبط بكونها ارتسمت بمجازر الوالي التي يفتخر الشاعر بها، فألوان نسيجها هنَّ سيوفُ الوالي المصطبغة بدماء العشائر المنتفضة ضد جور الولاة وظلم جبات الضرائب في الفرات الأوسط وغيرها. وداود باشا بأعماله هذه جلب العزّ للسلطان العثماني وبسط نفوذ الدولة بانتصاره على أعدائها.

أما عبد الغفار الأخرس فيقول مهنئاً الوالي محمد نامق باشا[٢٥] بالهديّة التي وردت إليه من السلطان عبد العزيز، وهي عبارةٌ عن علبةٍ تحوي عطوراً للاستنشاق تسمى الأنفية:

إنَّ مليكَ العصرِ من قدْ عَلا على ملوكِ الأرضِ طُراً وَفاقْ
أهدى إلى النامقِ أَنْفِيَّةً أعَدَّها السلطانُ للانتشاق
ذو نعمةٍ تُسدى لأهلِ التقى وسطوةٍ تُرهبُ أهل النفاق
نائلهُ عذبٌ بيومِ النَّدى وهو بيومِ البأسِ مُرُّ المذاق[٢٦]

تحمل هذه الأبيات في دلالاتها تصويراً مخالفاً لما كان عليه حال العراق من ظلمٍ وجورٍ، وقمعٍ لثورات العشائر المتكررة بسبب سياسات الضرائب الخاطئة، ومحاولة نامق باشا زيادة الضرائب في بعض المناطق وتشدده في جمعها؛ فتمكّن نتيجةً ذلك من إرسال مبالغَ جسيمةٍ إلى العاصمة عمَّر بها السلطان عبد العزيز، المعروف باستعماله أموال الدولة من أجل ملذاته الخاصة، قصراً أطلق عليه اسم بغداد.[٢٧] ولعلّ تلك الأموال التي كان يرسلها نامق باشا إلى الأستانة كانت سبباً في بقائه في منصبه لمدةٍ طويلةٍ قياساً على مدة غيره من ولاة ذلك العهد. وأيضاً كانت سبباً في منحه الأوسمة والنياشين التي منحها إياه السلطان عبد العزيز، وفيها نظم الأخرس أيضاً قصيدةً على منوال السابقة مليئةً بالتملّق والتزلّف يقول:

هنِّيتَ بالفرمان والنيشان من جانبِ الملكِ العظيمِ الشانِ
ولقد أعزَّ الدّينَ دينَ محمّدٍ عبدُ العزيزِ بملكهِ الخاقاني
فالله يعلمُ والبريّةُ كلّها أنَّ المليكَ خليفةُ الرحمن[٢٨]

ويعمل هذا الخطاب الشعري على جعلِ سياق الهبة طريقاً إلى تغذية الرأي العام عند الناس بمفاهيم الخلافة الدينية، وأنّ السلطان العثماني هو معزُّ دينِ محمدٍ صلى الله عليه وآله وسلم، وهو خليفة الرحمن في أرضه، عبر صناعة ثقافةٍ انخرط في سلكها الأدباء والعلماء ضمن عرفٍ ثقافيٍّ ممتدٍ، جعل المديح مفتاحه إلى التزلف والتقرب، ونيل الحظوة عند الوالي والسلطان. بينما يخالف الواقع كلّ هذه الدلالات المبثوثة في طوايا الأبيات، فالخليفة العثماني في

أبهى صوره هو "المبذّر المتلاف"[٢٩] و"المتهتك الشهواني"[٣٠]، الذي أنهى حياته منتحراً بعد خلعه من المُلك وتجريده من ممتلكاته.[٣١]

ثالثاً: هدايا السلطة للشعراء وهباتها.

قصد الشعراء السلطة مادحين وطالبين للهبات والمنح بدلالات مباشرة أو مضمّنة، ولم تقتصر هبات السلطة للشعراء على مناسباتٍ محددةٍ، بل كان السياق الثقافي العام للسلطة تعزيز مجدهم عبر رعاية شعراء منتمين للبلاط، يصنعون ثقافةً تمجّد السلطان والوالي، مبتغين في ذلك لقمة العيش، وهذا ما يقول الشيخ صالح التميمي في مدح داود باشا:

ومرتاعةً خوفَ الفراقِ تشيرُ لِي بهجرِ القوافي خيفةً أترحلُ
فقلتُ لها من أخصبَ الأرضَ وبلهُ على ندواتِ الطلِّ لا يتطفلُ
فلا يُرتجى إلا الوزيرُ لفاقة لأنَّ الرجا من صاحبِ الفضلِ أفضلُ
أبو حسنٍ لو أنَّ للغيثِ جودَهُ لما مرَّ عامٌ بالبريةِ مُمحلُ[٣٢]

وهي محاورةٌ ثقافيةٌ بين الشاعر والمرأة تذكرنا بمحاورة جرير مع امرأته في مدح عبد الملك بن مروان التي مرّت في الفصل الأول، وما كانت المحاورتان إلا بحثاً عن الهبات والعطاء، وقد أسبغ التميمي على الممدوح كلّ مظاهر الرفعة مع التركيز على الكرم، لأنّ الخطاب المدحي تحوّل إلى وسيلة ثقافية ترمي إلى تزيين الممدوح، وذكر مآثره من أجل الحرص على إرضاء من صنعت الثقافة له، وبالتالي الفوز بهبة الممدوح عن طريق ثقافة السؤال، واستمالة الممدوح عن طريق وصفه بأنّه صاحبُ الفضل، وأنّ الفضلَ لا يُرتجى إلا منه، ورسم صورةٍ مثاليةٍ للممدوح، ولا يهمّ الشاعر في سياق العرف الشعري والثقافي أنَّ هذه الصورة حقيقيةً، أم مجردَ حيلٍ نسقيّةٍ تُمارس دوراً في التعمية الثقافية لإرضاء الممدوح.

والشاعرُ المنتمي يكونُ في أغلبِ أحواله تحت إمرة السلطة ولسانَها الناطق، يدافعُ عنها ويسوّغ مواقفها، مزيّفاً صورة الواقع بكلّ أنواعه السياسي والاجتماعي والثقافي، "حتى صار يقاس رقي الخطاب بمقدار تعاليه على شروط العقل وفاعليته، ...، أي قتل الحقيقة، فإن اللازمة الدلالية تفضي أيضاً إلى تصوير الباطل في صورة الحق"(٣٣)، وهذا التصوير المزيّف يبرز في دلالةٍ ثقافيةٍ تمارس صناعة الثقافة السلطوية التي تُخضع الذات الثقافية العربية، فتفقد عنصر الصدق، لأنّ السلطة تسعى إلى تأسيس المغالطات من خلال التشبّه بالمُثل الدينية والأخلاقية.

وفي سبيل الحصول على ما كان يوليه السلطان عبد الحميد على الشعراء من هباتٍ عن طريق منافذه المتعددة في العراق، سواء عن طريق الولاة أو غيرهم ممن يرتبط بالعثمانيين إدارياً أو سياسياً، فقد توسّل السيد جعفر الحلي بشتى هذه الطرق في سبيل ذلك. ومن خلال قصائد الشاعر المدحيّة ندرك بوضوحٍ ما كان عليه الشاعر من معرفةٍ حاذقةٍ بمتطلبات سوق السلطان. فنجد توظيف البعد الديني والبعد السياسي واضحاً في قصائده المدحية بحق عبد الحميد الثاني أو من يُمثّله من ولاة وغيرهم. فهو يُبارك ذكرى مولد السلطان في قصيدةٍ مادحاً فيها واليه على بغداد عطاء الله باشا الكوكبي:

لَمعت عَلى كلّ الرِقاب هباتُهُ فَكـأنهنَّ قَلائدٌ وَعُقودُ
أَبلغ إمامَ المسلمينَ تشكراً منا كَثيراً ما عَلَيهِ مَزيدُ
وَكفت عَلى كلّ الجِهاتِ أَكفُهُ فَجَرى السَماحُ خِلالَها وَالجُودُ
لا سيما النَجف الشَريف فَأَهلُهُ لِعُلاهُ تبدي بِالدعا وَتعيدُ(٣٤)

فتأكيد صفة الكرم والتدليل عليها بكثرة الهبات إنما هي دالةٌ ثقافيةٌ على الاستجداء واستيهاب العطايا التي يبتغيها، ويؤكّد أيضاً البعد الديني والسياسي في "إمام المسلمين" تلك الصفة التي حاول عبد الحميد الثاني

إسباغها على نفسه وأنّه موحّد المسلمين تحت سلطته، و"النجف الشريف" "تبدى بالدعا" في إعلانٍ للولاء وتقديم الطاعة.

ويمدح جميل صدقي الزهاوي السلطانَ وجيوشه في حرب اليونان، وكان إذ ذاك في الأستانة، فيقول في قصيدته **الفتح الحميدي**:

لسلطاننَا عبد الحميدِ سياسةٌ طريقتُها في المعضلاتِ هي المثلى
سللتَ لنصرِ الدينِ سيفَ عزيمةٍ فللتَ بهِ ما لم يكنْ فلُّهُ سهلا
فجهّزتَ جيشاً للجهادِ عرمرماً قهرتَ بهِ ذاكَ العدوَ الذي ولّى[٣٥]

وقد راقت هذه القصيدة للسلطان، فمنحه رتبةً دينيةً ووساماً مجيديّاً من الدرجة الثالثة وأمر بتعيينه واعظاً عاماً في اليمن عام ١٨٩٧م.[٣٦]

ولم تقتصر هبات السلطة للشعراء على السلطة العثمانية في العراق بل اتسعت لتشمل سلاطين القاجار في إيران؛ فقد أتاحت المعاهداتُ السياسية بين الدولة العثمانية والدولة القاجارية الطريقَ إلى تحوّل الحرب العسكرية بين الطرفين إلى حربٍ على النفوذ الشعبي والديني والسياسي. وهذا ما يجده الباحث واضحاً في النصف الثاني من القرن التاسع عشر؛ حيث عملت السلطتان على جذب العلماء بالمنح الخيرية وإعمار العتبات وغيرها، وكذلك ما قامت به من فتح سوقٍ أدبيةٍ للشعراءِ الذين لم يتوانَ بعضهم عن كيل القصائد المادحة طمعاً بالهبات والجوائز التي يسوقها السلطان لمادحيه. وكان لتردي أحوال العراق الاقتصادية، والحاجة المادية الماسة لأغلب الأدباء السبب الرئيس في لجوئهم إلى أي أملٍ في الغنى وكفاف العيش يلوح لهم، حتى لو اقتضى ذلك السفر إلى مواطن الهبات والمكافئات.

ويعدُّ الشاعر جابر الكاظمي المتوفى سنة (١٣١٣هـ/١٨٩٥م) من أوائل الشعراء الذين سافروا إلى إيران وقصدوا مدح الشاه القاجاري. وقد سافر أول مرة في أيام السلطان فتح علي شاه سنة (١٢٤٢هـ/١٨٢٦م)، والثانية في عهد السلطان محمد شاه سنة (١٢٥١هـ/١٨٣٥م) ومدحه بقصيدتين. وسافر إلى

إيران أيضاً سنة (١٢٧١هـ/١٨٥٥م) وبقي هناك قرابة ثلاث سنين. وقد أعجب به أهل الأدب هناك ونال منزلةً كبرى عند رجال الدولة وأكابر الناس.[٣٧]

دوَّن جابر الكاظمي في قصائده مناسبات وأعمال القاجاريين، ولم تفته مناسبة تمرُّ عليه إلا وأحسن استغلالها لنيل هباتها ومنحهم، فيقول مادحاً أم نائب السلطنة زوجة السلطان محمد شاه؛ وذلك عند قدومها من الحج، وترجمها إلى الفارسية شعراً:

يا من سمتْ شمسَ العلى بسعودِها ولها الورى دانتْ برغمِ حسودِها
وفدتْ لبيتِ اللهِ جلَّ جلالُهُ ثمَّ انثنتْ والعفوُ بعضُ ورودِها
أشكو إليكِ صروفَ دهرٍ لم تزل تسعى خلافَ القصدِ في مقصودِها
فلأدعوّنَ لكلّ من فوقَ الثرى ببقائها طولَ المدى وخلودِها[٣٨]

ويبدو من استيهابه الصريح للمال، معرفته بالعرف السائد عند أجواء السلطة القاجارية في منح الشعراء المال، ورغبة القاجاريين بنشر مدائحهم باللغة العربية وفي العراق تحديداً، والشاعر كفيل بالدعوة لها ولبقائها وخلودها.

ولم يقتصر المدح على شاعر الكاظمية، فمن النجف شاعرها المعروف الشيخ عبد الحسين شكر يقصد ناصر الدين شاه في إيران ويمدحه بروضة شعريةٍ، وكان جزاؤها أن أجزل له العطاء فعاد إلى النجف، ثم سافر مرةً أخرى لطلب راتبٍ له فأبلغه الشاه مُناه، ورتّب له راتباً ثم عاد فسكن كربلاء، ثم عاد إلى إيران ومات هناك في طهران سنة (١٢٨٥هـ/١٨٦٨).[٣٩]

عُرف عهد ناصر الدين شاه بكثرة الوافدين من شعراء العراق لمدحه، وهذا الأمر لم يكن موجوداً قبل عهد القاجار أي في العهد الصفوي حتى عصر القاجاريين، ويعود سببه إلى معرفة الشاه باللغة العربية وأدبها، وكذلك أركان بلاطه ووزرائه وكبار المسؤولين في عهده، فضلاً عن الغرض السياسي من توظيف الجانب الإعلامي والثقافي للأدب في دعم سياساته وإنجازات

حكمه.[٤٠] وغلب على هذه القصائد المدحية كونها قصائدَ تتكونُ من مدائحَ سياسيةٍ لنظام الحكم القاجاري، ومن استيهابٍ واضحٍ وطلبٍ صريحٍ للنوال والعطاء.

وتوجد في ديوان راضي القزويني النجفي قصائدُ في مديح الأسرة القاجارية، فقد اتصل بالشاه ناصر الدين القاجاري في أسفاره الثلاثة فأكرمه وأحله المكان السامي من محفله.[٤١] ومن خلال قصائده يتبيّن بوضوحٍ رواج سوق الهبات في مجلس السلطان يقول الشاعر في قصيدةٍ له:

يا أيها الملكُ المتوّجُ بالعُلا والمجدُ من آبائه الخلفاءِ
نزلَ الرجا ضيفاً بظلّك والقرى يجبُ القيامُ به على الكرماءِ
وأظنُّ لي حقاً عليكَ بنسبتي للمرتضى والبضعةِ الزهراءِ
إنْ لمْ تكنْ للشعرِ عندكَ قسمةٌ موفورةٌ وآ ضيعةَ الشعراءِ
ولكَ المكارمُ والفواضلُ كلّها إرثٌ منَ الأجدادِ والآباءِ[٤٢]

ويُستشف من هذه الأبيات فضلاً عن دلالة الاستيهاب العرفية الواضحة، دلالةُ البعدِ الديني في تعريف الشاعر بنسبته لآل البيت عند السلطان؛ لمعرفة الشاعرِ بأثرِ هذا البعد عند السلطان. ويمكن التدليل على ذلك بعد معرفتنا أنَّ الحكم القاجاري امتاز بتعزيز أسس دولتهم من خلال إضفاء سمةٍ مذهبيةٍ عليها. فعهد القاجار يشبه العهد الصفوي من حيث التعصب المذهبي، فقد حاولوا إظهار انفسهم بكونهم نواباً للإمام ومطبقين للشريعة الإسلامية ولشعائر المذهب، فحرصوا على إقامة مجالس العزاء والاحتفالات الدينية.[٤٣] وتستمر هبات السلطان ناصر الدين القاجاري على العلماء والأدباء عندما زار العراق في عهد مدحت باشا سنة (١٢٨٧هـ/١٨٧٠م) أهدى لكافة زائريه في النجف من العلماء والأدباء هداياً ثمينةً، ومنها أنَّه أهدى للشاعر السيد موسى الطالقاني جبةً وعصاً مرصعةً بالأحجار الكريمة، وإلى هذه الهديّة يشير السيد أحمد الطالقاني مداعباً للشاعر بقوله:

أهدى لموسى ناصرُ الدينِ المؤيدِ طليسانا
وحباهُ من ألطافه بعصاً مرصعةً فزانا
قد قلتُ ما هذي العصا بيديكَ قال لمن عصانا(٤٤)

استطاع ناصر الدين شاه تلميع صورة حكمه الاستبدادي القمعي بوساطة جمعه لـ"وعاظ السلاطين" من حوله ولشعراء الفرس والعرب، ولرعايته وترويجه للمذهب الجعفري، وصرفه المبالغ الطائلة على مراقد الأئمة عليهم السلام في العراق. إلا أنَّ هذا كلّه كان مخالفاً لسيرته مع شعبه، ولم تستطع تلك الأعمال فضلاً عن قصائدَ الشعراء من تغطية سياساته الاستبدادية.(٤٥)

وهناك دورٌ لعبه الشاعر عبد الباقي العمري الذي كان كما أشرنا سابقاً مقرباً جداً من السلطة، وتولى مناصبَ رفيعةً فيها، وبتصفحٍ دقيقٍ لديوانه يتجلّى لنا عمق تأثير الرأسمال الاقتصادي الذي منحته إياه السلطة، فمن رسالة أدبيةٍ يبعثها للوالي نجيب باشا بمناسبة تتويج الشيخ عارف حكمت شيخاً للإسلام في الأستانة، مقدماً إياها أمامَ قصيدةٍ له مادحاً شيخ الإسلام فيقول في وصف نجيب باشا: "فيقول العبدُ المتشرِّف بنسبته للأبوابِ المنيفةِ السلطانيةِ، وخدمته للأعتابِ الشريفةِ الخاقانيةِ، دامتْ محطاً لرحالِ ذوي الآمال عبدُ الباقي الفاروقي الموصلي حفيدُ أبي الفضائل. على أنَّني منذ أعوامٍ لما كنتُ قاطناً بمدينةِ السلام متشخصاً بين الخاصِ والعام، خاصةً في هذه الأيام، بملازمتي خدمةَ شيخ وزراء العصر، ممهّدِ قواعدِ إعرابِ هذا القطر، ذي الهممِ الكافيةِ، والنعمِ الشافيةِ، الدستورِ الكبيرِ والمشيرِ الخطيرِ، مخدومي ووليّ نعمتي، الكاشف بمسحةٍ من يدِ إحسانه غمتي، حضرة افندينا الحاج محمد نجيب باشا..."(٤٦) ولا يمكن تفسيرُ هذا الخطابِ المتذللِ للسلطةِ إلا بمعرفةِ كيفيةِ صناعةِ الثقافة في عصرِ الحكومات الاستبدادية، وسيرِ الأديب على عرفِ الثقافة السائدةِ التي تجعلُ منه أداةً بيد السلطة، وصوتاً إعلامياً لها، فهو "الذي يسعى للظفرِ بنظرة ودٍ من عين السلطة، وإذا ما ظفرَ بهذهِ النظرةِ

يكونُ قد بلغ غايةَ المراد، ويمضي في حياته مستشعراً الأمانَ ما دامَ يستظلّ بجناحها".(٤٧)

ولم تكن مدائح الشعراء تقتصر على رؤساءِ الوحدات الإدارية، بل وصل الأمر بالشاعر عبد الغفار الأخرس إلى مدحِ أحد صغار الموظفين لكي تقضى أعماله وتنفّذ رغباته، طمعاً بما يقدّمه ذلك الموظف وفق صلاحيات منصبه. فقد مدح كاتب العربية في ولاية البصرة عبد القادر أفندي الكولمند بقصيدةٍ جاوزت خمسين بيتاً، دون التقيّد برصانة الأسلوب والابتعاد عن الإسفاف والتدني الذي انجرف فيه جمعٌ من شعراء هذا العصر، في عرفٍ استجدائيٍ صريحٍ، فيبدأ قصيدته بالغزل التقليدي وينتقل إلى وصف كرم كاتب العربية، وأنَّ كرمه لم يزل يَهمى على المحتاجين بالفضلِ والنعم، وكرمَه مثل الغيث المنهمر، وقد تعلَّم المطرُ منه هذا الجود، ومتى جئت تطلبُ منه المال حكَّمك في ماله، وقد ورد نداه ظامئاً فوجده البحر الطامي. في ابتذالٍ واضحٍ من الشاعر وامتهانٍ لكرامته في المديح.(٤٨) فيقول:

كرامةُ عبدِ القادرِ القرمِ لم تزلْ تهامى على العافينَ فضلاً وأنعما
يصبُّ الحيا في صوبِهِ مثلَ سيبِهِ كأنْ علَّم الغيثَ الندى فتعلَّما
إذا جئتَهُ مسترفداً رِفدَ فضلِهِ غدوتَ إذنْ في ماله مُتحكما
وردّتُ نداه ظامئاً غيرَ أنَّني وردتُ لديهِ البحرَ والبحرُ قد ظما(٤٩)

ثم تتجلى رغبة الشاعر في نيل الهبات صراحة حين يقول في القصيدة:

وأثقلَ بالأيدي لساني وعاتقي ألم ترني لا أستطيعُ التكلّما
أطلتَ يدي في كلّ أمرٍ طلبتُهُ وغادرتُ شأني عبدُ نعماكَ أجذما

ويمدحه بقصيدةٍ أخرى يكرّر فيها معاني الجود للممدوح نفسه، ويقول إنّه لا أمل له إلا نوال الممدوح وجوده قائلاً:

لـم يبق لـي أملٌ أرجّي نيلهُ إلا نـوالُ يمينِ عبدِ القـادرِ
لو لمْ يكنْ بحرُ النوالِ لما غدا يهبُ المؤملَ من ندىً وجواهرِ[٥٠]

وله فيه قصائدُ أُخر يبيّن فيها أنّه راتعٌ بالعزِّ من هباتِ عبد القادر وأموالِه لقاء مدحه.[٥١]

رابعاً: مشاريع السلطة الخيرية (إعمار العتبات المقدسة) أنموذجاً

برز في القرن التاسع عشر نمطٌ لا يمكن تصنيفه ضمن الهبات والهدايا، وهو بناء القناطر على الأنهار وإنشاء سدودٍ بدائية البناء على ملتقى الأنهار للوقاية من الفيضانات، أو شق أفرع للأنهار لإيصال الماء إلى المناطق البعيدة عن مجرى النهر التي سرعان ما تندثر وتطمر، وأعمار المساجد والجوامع وغيرها؛ لأنّه لم يقم على أساس وجود ركنين مُهدي ومهدىً إليه كما لاحظناه في الأنماط السابقة. إلا أنّنا نلاحظ فيه بوضوحٍ نشوء سياقٍ ثقافيٍ هامٍ إلى الحد الذي افترض زخماً كبيراً من الهبات والهدايا للشعراء؛ بسبب أنّ هذا النوع من أعمال السلطة كان مناسبةً كبيرةً لرواج قصائد المديح وتلقّي أثمانها هباتاً وجوائز من السلطة؛ طمعاً في تخليد إنجازها وإسباغ الأهمية البالغة عليه، وعدّه تفضّلاً ومنّةً من السلطان أو الوالي على رعيته، مع التغاضي عن عمدٍ بأنّ كثيراً من هذه الأعمال هي أبسط حقوق الناس المسلوبة منهم.

ويمكن عدّ إعمار العتبات المقدسة من هذا النمط الذي لا يمكن عدّه من أنماط الهبات وإن نشأ في ظلّه هامشٌ للهبات والهدايا للأدباء والعلماء[٥٢]، ويندرج هذا النمط ضمن سياقين سياسيين يكون عنواناً حقيقياً له، الأول هو التخادم بين السلطة السياسية والسلطة الدينية، والثاني حذرُ السلطانِ من رموزٍ دينيةٍ خوفَ انقلابِهم عليه أو تحشيدِ الناس ضده؛ فيتصرف معهم بمكرٍ ودهاءٍ سياسي في التخلص منهم، بتكلّيفهم بإعمار العتبات بعد توفير المبالغ الضخمة لذلك الأمر وجعلها تحت تصرف هذا الزعيم الديني.

وكان النصيب الأكبر من المدائح الشعرية في هذا السياق للدولة القاجارية وخاصةً للسلطان ناصر الدين شاه، ولم تقتصر هذه المدائح على شخص السلطان بل واتسعت لتشمل القائمين بإعمار العتبات المقدسة من الأسرة القاجارية أو من يرتبط بهم.(٥٣)

استطاع ناصر الدين القاجاري كسب ودّ بعض مراجع الدين في النجف وكربلاء وإيران بأعماله هذه، فقد كان يستعملُ ورقةَ الدين والتقربِ إلى العلماء أحياناً لتحقيقِ أغراضٍ سياسيةٍ معينةٍ. وخاصةً بعدما أعلنت بريطانيا الحربَ على إيران في سنة (١٨٥٦م) عقبَ قيامِ إيران بالاستيلاءِ على هرات، فأخذت حكومة ناصر الدين بالتوددِ إلى العلماءِ بهدف حثّهم على إصدارِ فتاوىً بالجهادِ ضد القواتِ البريطانيةِ التي هاجمت المحمرة. فقامَ بأعمالٍ عدّةٍ منها إعماره للعتبات المقدسة في إيران، وإرسال عشرةِ آلافِ تومان إلى العتبات المقدسة في العراق لتنفق في إعمارها.(٥٤)

ولم يكن هذا الجانب هو السبب الوحيد في ذلك بل عملت إيران على تقوية نفوذها السياسي والديني داخل المدن الشيعية المقدسة في العراق، وخاصةً بعد معاهدة الحدود بينها وبين الدولة العثمانية والتي سميت بمعاهدة أرضروم الثانية التي أنهت الصراع العسكري وحولته إلى صراع سياسي. وكانت عملية بناء المدارس الدينية في النجف وكربلاء والدعم المالي المتمثل بالهبات والهدايا للعلماء وإعمار العتبات، من جانب إيران خطةً لزيادة نفوذها من الناحية السياسية في المنطقة(٥٥)، بعد أن شعرت الدولة القاجارية بضعف نفوذها على الحوزة العلمية لاستقلال الحوزة السياسي والمالي عنها ومواقف علماء الدين من تجاوزات السلطة القاجارية على شعبها وظلمها الكبير له. ويندرج ما مرّ ضمن سياق التخادم بين السلطتين السياسية والدينية، وهو ما أدركته بوضوحٍ تامٍ السلطة العثمانية فدخلت على خط المنافسة مع

السلطة القاجارية، وتكشف لنا احدى التقارير المتعلقة بالموضوع والمرسلة من بغداد إلى الأستانة عن ذلك:

"إنّ أهمّ مجتهدي الشيعة يعيشون في النجف وكربلاء، وهم رعايا عثمانيون من أصولٍ عربية، وبالرغم من أنّ هؤلاء المجتهدين لا يحبون شاه إيران، إلا أنّهم يكنون له الاحترام بسبب المساعدات التي يقدمها للعلماء والعتبات. ولو أنّ الشاه حصل على تأييد ودعم هؤلاء المجتهدين سيعمل على استمرار تبعية أهالي إيران للشاه، وإذا حدث العكس فمن المحتمل أن يقوم الأهالي بثورة ضد الشاه في كلّ وقتٍ وحينٍ... إنّ مسألة تمكّن الدولة العثمانية من بسط نفوذها على العلماء وكلّ الشيعة، كان أمراً يمكن للدولة العثمانية أن تنجح فيه أكثر من إيران، ولتحقيق هذا النفوذ يجب زيارة هؤلاء العلماء، وإرسال الهدايا للأضرحة المقدسة، وعدم إهمال العناية بتلك الأضرحة".(٥٦)

فعملت الدولة العثمانية على ذلك، فنشأ هامشٌ من الهبات على الشعراء المادحين لتلك المنجزات العثمانية في إعمار العتبات وكذلك إرسال الهدايا لها.(٥٧) وقد كان للدولة العثمانية وخاصة سياسة الوحدة الإسلامية للسلطان عبد الحميد الثاني نفوذٌ بدرجةٍ هامةٍ على علماء الدين في مدارس النجف وكربلاء.(٥٨)

أما السياق السياسي الثاني في إعمار العتبات المقدسة فهو محاولة التخلّص من نقمة رجال الدين على الشاه القاجاري وعلى سياساته الجائرة، وخاصةً شيخ العراقين عبد الحسين الطهراني المتوفى سنة (١٢٨٦هـ/١٨٦٩م)، الذي

كان من كبار علماء طهران وممن تخرّج من مدرسة النجف العلمية، ولم يكن من وعّاظ السلاطين المؤيدين للسياسة القاجارية، ولم يكن يبدي أيّ خشيةٍ من السلطان أو غيره من أفراد حاشيته في مواجهة السياسات الخاطئة للبلاط. وتدلّ السياقات التاريخية أنّ شجاعته في مواجهة السلطة دفعت بالشاه إلى التعامل معه بدهاءٍ سياسيٍ فعمل على نفيه باحترام إلى العتبات المقدسة. حيث عمد ناصر الدين شاه إلى إبقاء شيخ العراقين، الذي قد ذهب للعراق لأغراضٍ علميةٍ ودينيةٍ، في كربلاء؛ للأشراف على بعض أعمال عمارة العتبات والقباب والمنارات لمراقد الأئمة المعصومين عليهم السلام التي تعرّضت للتخريب إثر هجمات الوهابيين والقبائل النجدية على كربلاء في بداية القرن التاسع عشر، فضمِنَ للشيخ بذلك نفياً محترماً إلى العراق. وبهذا الحيلة أيضاً يكون السلطان قد تخلص من الشيخ وفي الوقت نفسه حسّن من صورته في ذهن عامة الناس وعلماء الدين؛ إذ خرج عليهم بمظهر المهتم بالآثار الدينية والإسلامية.(٥٩) وكان الشعراء يستغلون مناسبات الإعمار على يد الشيخ عبد الحسين الطهراني فيقصدونه مادحين بقصائدَ طويلةٍ تتضمن خطط الشعراء المدحيّة في استدرار الهبات التي لم يكن يبخل بها عليهم.(٦٠)

الخاتمة

خلُصتِ الدراسةُ إلى نتائجَ عدّةٍ تمثّل أهم الأعراف الثقافية التي حكمت هذا العصر وهي:

١. اتسمّ القرن التاسع عشر بسمةِ المديح، حيث غلب المدح فيه على جميع الأغراض الأخرى، ويعود سبب ذلك إلى توسلِ الشعراء بالغرضية رغبةً في الهبات التي كانت بيد السلطة. فأصبحوا يصطادون المناسبات والأعياد والمواقف، وأصبحوا لا يفكرون في الأشياء إلا ليكتبوا عنها، لأنّ وراءَ ذلك مقابلاً لا بأس به في أسوء الأحوال.

٢. تتيحُ مواقعُ العلماء الدينية والاجتماعية ورمزيتها في قلوب الناس عواملَ جذبٍ لهم، وتُمكّن لهم الإفادة من منافعَ وهباتِ السلطة السياسية التي تحاول كسب ودهم وولائهم لها؛ في سبيل إضفاء الشرعية الدينية على السلطة، وتمثّل ذلك في سياق التخادم الديني السياسي، فكان للهبات والهدايا سلطتها الرمزية على العلماء جعلتهم لا يعترضون على السلطة بل جعلت بعضهم يسيرون على سياقها ويكونون داعمين لها.

٣. أنّ تمثّل العرف الغرضيّ الممتدّ لخطاب المديح أدى إلى تحوّل أغلب قصائد المديح في القرن التاسع عشر إلى وسيلةٍ ثقافيةٍ ترمي إلى تزيين الممدوح وذكر مآثره من أجل الحرص على إرضاء من صُنعتِ الثقافة له، وبالتالي الفوز بالهبات عن طريق ثقافة السؤال والاستيهاب. ولا يهمّ الشاعر في سياقِ العرف الشعري والثقافي أنَّ هذه الصورة التي اختلقها حقيقيةً، أم مجردَ حيلٍ عرفيةٍ غرضيةٍ تُمارس دوراً في التعمية الثقافية لإرضاء الممدوح.

٤. أنَّ ظاهرة كثرة مانحي الهبات من أصحاب السلطة السياسية وأصحاب النفوذ المرتبطين بها، كان لها التأثيرُ الأكبرُ في تنميط القصيدة وجعلها سلعةً لها مقابلٌ ماديٌ، فقدت الهبة بسببها قيمتها الأخلاقية والاجتماعية. فالهباتُ تعمل على جعل أديب ينتج أدباً له قيمةٌ تبادليةٌ، حسب مواصفات السوق الأدبية للسلطة، وإلا فإنَّ أدبه سيتعرض للكساد وحياته للملق والفقر.

٥. نلاحظ في القرن التاسع عشر بوضوح نشوء سياقٍ ثقافي جديد للسلطة تمثّل في إعمار العتبات المقدسة والمساجد الكبرى في المدن، الذي نشأ في ظلّه زخمٌ كبيرٌ من الهبات والهدايا للأدباء والعلماء، بسبب أنّ هذا النوع من أعمال السلطة كان مناسبةً كبيرةً لرواج قصائد المديح وتَلقّي

أثمانها هباتاً وجوائز من السلطة؛ طمعاً في تخليد إنجازها وإسباغ الأهمية البالغة عليه، وعدّه تفضّلاً ومنّةً من السلطان أو الوالي على رعيته، مع التغاضي عن المطالبة بأبسط حقوق الناس المسلوبة منهم.

هوامش البحث

١. ينظر: عباس العزاوي، تاريخ العراق بين احتلالين: ٦/٣٤٠- ٣٤١.
٢. أبو الثناء الآلوسي، غرائب الاغتراب: ٩.
٣. عبد الوهاب الشعراني: فقيهٌ محدثٌ صوفيٌ من كبار علماء مصر، ولد عام (٨٩٨هـ) وتوفي عام (٩٧٣هـ)، له مؤلفاتٌ كثيرةٌ في الفقه والأخلاق والتصوف، وكتابه الميزان من أشهر كتبه في الفقه الإسلامي وأصول الفقه جمع فيه ما اتفق عليه أئمة المذاهب الأربعة. ينظر: مقدمة الكتاب: عبد الوهاب الشعراني، الميزان، تحقيق وتعليق: الدكتور عبد الرحمن عميرة، عالم الكتب، بيروت- لبنان، ١٩٨٩م.
٤. عبد الفتاح الشواف، حديقة الورود: ١/٣١.
٥. ينظر: عبد الفتاح الشواف، المصدر نفسه: ١/٣٠-٣١.
٦. عبد الفتاح الشواف، المصدر نفسه: ١/٣٠.
٧. عبد الباقي العمري، الترياق الفاروقي: ٤١٧.
٨. عبد الفتاح الشواف، حديقة الورود: ١/ ١٢٤.
٩. عبد الغفار الأخرس، ديوان الأخرس: ٤٦٥.
١٠. صالح التميمي، ديوان التميمي: ٥٩.
١١. أحمد عارف حكمت: قاضٍ تركي المنشأ، عربي الأصل، اشتهر بخزانة كتبٍ عظيمةٍ له المدينة المنورة. وليّ مشيخة الإسلام في الأستانة سنة (١٢٦٢هـ-١٨٤٦م) فاستمر سبعة أعوام ونصف عام، وأقيل سنة ١٢٧٠م، ينظر: الزركلّي، الأعلام: ١/١٤١.
١٢. أبو الثناء الآلوسي، غرائب الاغتراب: ١٢٤.
١٣. أبو الثناء الآلوسي، المصدر نفسه: ١٤١-١٤٢.
١٤. ينظر: سجاد شعبان حسن، الشعر العربي في العراق في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر: ٢٢٤.
١٥. ينظر: محمد مهدي البصير، نهضة العراق الأدبية في القرن التاسع عشر: ٢٤٧.

١٦. ينظر: أبو الثناء الآلوسي، غرائب الاغتراب: ١٢٧-١٢٨، ١٣١-١٣٢. وقد ألف أبو الثناء كتابين عن رحلة الذهاب إلى الأستانة والإياب منها هما: نشوة الشمول في السفر إلى إستانبول، وكتاب نشوة المدام في العود إلى دار السلام. ينظر: أبو الثناء الآلوسي، نشوة الشمول في السفر إلى إستانبول، ونشوة المدام في العود إلى مدينة السلام ١٨٥١م-١٨٥٢م، تحقيق وتقديم: هيثم سرحان، طباعة دار السويدي للنشر والتوزيع في أبو ظبي والمؤسسة العربية للدراسات والنشر في بيروت، ط١، ٢٠١٩م.

١٧. أبو الثناء الآلوسي، الصادح بشهي النغم على أفنان ترجمة شيخ الإسلام وولي النعم، مخطوط منشور موقع مخطوطات الأزهر الشريف، مصر، http://www.alazharonline.org، رقم النسخة:٣٢٥٥٩٢/ أدب: الورقتان: ٥-٦.

١٨. أبو الثناء الآلوسي، الصادح بشهي النغم على أفنان ترجمة شيخ الإسلام وولي النعم: الورقة: ٥.

١٩. السيد علي القادري النقيب: هو السيد علي بن السيد سلمان بن مصطفى من ذرية الشيخ عبد القادر الكيلاني، كان من أعيان العراق ونقيباً للسادة في ولاية بغداد وشيخاً للطريقة القادرية في العراق، ومتولياً شرعياً على أوقاف مسجد عبد القادر الكيلاني ومرقده، وكان محترماً لدى السلاطين والولاة، وله صلاتٌ طيبةٌ مع العلماء والأدباء، وقد مدحه كثير من الشعراء منهم عبد الباقي العمري وصالح التميمي والأخرس، توفي سنة ١٢٨٩هـ/١٨٧٢م ودفن في الحضرة القادرية ببغداد، ينظر: إبراهيم فصيح الحيدري، عنوان المجد: ٨٨، وينظر أيضاً: إبراهيم الدروبي، البغداديون: ٥.

٢٠. عبد الغفار الأخرس، ديوان الأخرس: ٦٥٦.

٢١. مصطفى الواعظ، الروض الأزهر في تراجم آل السيد جعفر، مطبعة الاتحاد، الموصل، ١٩٤٨م: ٢٨٠-٢٨١.

٢٢. ينظر: هاشم الأعظمي، تاريخ جامع الأمام الأعظم ومساجد الأعظمية، مطبعة العاني، بغداد، ١٩٦٤م: ٧٢-٧٥.

٢٣. جعفر الحلي، سحر بابل وسجع البلابل: ٢٧٥-٢٧٦.

٢٤. صالح التميمي، ديوان التميمي: ٦٣.

٢٥. محمد نامق باشا الكبير، من أهل قونية، نال منصب ولاية بغداد في سنة ١٢٦٥هـ/ ١٨٤٨م ، ثم نقل في سنة ١٢٦٩هـ/ ١٨٥٢م إلى مشير المدفعية في إسطنبول وفي سنة

١٢٧٨هـ/١٨٦١م عاد والياً على بغداد ثانية ومشيراً للعراق والحجاز، ومنح الوسام المرصع سنة ١٢٨١هـ/١٨٦٤م، ثم نقل إلى الأستانة بمنصبٍ أرفع سنة ١٢٨٤هـ/١٨٦٧م. مدحه كثير من الشعراء منهم احمد عزة الفاروقي وأحمد قفطان النجفي، وعبد الباقي العمري وعبد الغفار الأخرس، توفي سنة ١٣١٠هـ/١٨٩٢م. ينظر: إبراهيم الحيدري، عنوان المجد: ١٦٧، وينظر: عبد الباقي العمري، الترياق الفاروقي: ٢٨٤، وينظر أيضاً: عباس العزاوي، تاريخ العراق بين احتلالين: ١٥٦/٧.

٢٦. عبد الغفار الأخرس، ديوان الأخرس: ٦٢٣-٦٢٤.

٢٧. ينظر: جميل موسى النجار، الإدارة العثمانية في بغداد من عهد الوالي مدحت باشا إلى نهاية الحكم العثماني ١٨٦٩-١٩١٧م، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط١، ١٩٩١: ٥٧.

٢٨. عبد الغفار الأخرس، ديوان الأخرس: ٣١٠-٣١١.

٢٩. إبراهيم الوائلي، الشعر السياسي العراقي: ٢٥.

٣٠. ماري باتريك، سلاطين بني عثمان الخمسة: ٢٦.

٣١. ينظر: ماري باتريك، المصدر نفسه: ٢٦-٢٧.

٣٢. صالح التميمي، ديوان التميمي: ١٠٠-١٠١.

٣٣. ينظر: عبد الله الغذامي، النقد الثقافي: ١١٢.

٣٤. جعفر الحلي، سحر بابل وسجع البلابل: ١٨٥.

٣٥. جميل صدقي الزهاوي، ديوان الكلّم المنظوم، دار مصر للطباعة، ١٩٥٥: ١-٥.

٣٦. ينظر: رفائيل بطي، الأدب العصري في العراق العربي- قسم المنظوم، المطبعة السلفية، مصر، ١٩٢٣م: ٨-٩. وينظر أيضاً: علي الخاقاني، شعراء بغداد من تأسيسها إلى اليوم، مطبعة أسعد، بغداد، ١٩٦٢م: ٣٥٥.

٣٧. ينظر: جابر الكاظمي، ديوان الشيخ جابر الكاظمي ١٢٢٢-١٣١٢هـ، تحقيق: محمد حسن آل ياسين، مطبعة المعارف، بغداد، ط١، ١٩٦٤م: المقدمة: ح. وينظر أيضاً: علي الخاقاني، من شعراء القرن التاسع عشر الشيخ جابر الكاظمي، بحث منشور في مجلة الدليل، العدد الأول، السنة الأولى، النجف، ١٩٤٦م: ٤١.

٣٨. جابر الكاظمي، ديوان الشيخ جابر الكاظمي: ٢٠٢-٢٠٣.

٣٩. ينظر: حسين عبد الأمير مرعشي، الفكر السياسي الإيراني في عصر القاجار وانعكاساته في الشعر العربي (قصيدة نصيري أميني في مدح ناصر الدين شاه أنموذجاً)، بحث منشور

في مجلة العميد، العتبة الحسينية، كربلاء المقدسة، السنة الثامنة، المجلد الثامن، العدد التاسع والعشرون: ٢١٦-٢١٧.

٤٠. ينظر: علي الخاقاني، شعراء الغري أو النجفيّات، المطبعة الحيدرية، النجف، (د.ط)، ١٩٥٤م: ١٣٣/٥.

٤١. ينظر: علي الخاقاني، شعراء الغري: ٣/٤.

٤٢. راضي القزويني، ديوان السيد راضي القزويني، دراسة وتحقيق: حسن عبد الهادي الدجيلي وفهد نعيمة مخيلف، دار الفراهيدي للنشر والتوزيع، بغداد، ط١، ٢٠١٤م: ٢٠-٢١.

٤٣. ينظر: حسين عبد الأمير مرعشي، الفكر السياسي الإيراني في عصر القاجار: ٢٣٢.

٤٤. موسى الطالقاني، ديوان السيد موسى الطالقاني: ٣.

٤٥. ينظر: موسى الطالقاني، المصدر نفسه: ٤. وينظر: محسن الأمين، أعيان الشيعة: ٤٦٣/٩-٤٧٣.

٤٦. عبد الباقي العمري، الترياق الفاروقي: ٢٢٦.

٤٧. أحمد عبد الحي، الشاعر والسلطة، أبتراك للنشر والتوزيع، القاهرة، ط١، ٢٠٠٤م: ١١.

٤٨. ينظر: يوسف عز الدين، الشعر العراقي أهدافه وخصائصه في القرن التاسع عشر: ٦٨.

٤٩. عبد الغفار الأخرس، ديوان الأخرس: ٥٣٥-٥٣٦.

٥٠. عبد الغفار الأخرس، المصدر نفسه: ١٥٧.

٥١. ينظر: عبد الغفار الأخرس، المصدر نفسه: ٢٩٩، ٣٨٨.

٥٢. ينظر: جعفر النقدي، تاريخ الإمامين الكاظمين عليهما السلام وروضتهما الشريفة، المطبعة العربية، بغداد، ١٣٦٩هـ: ٧٧.

٥٣. ينظر: جابر الكاظمي، ديوان الشيخ جابر الكاظمي: ٣٥، ٢٢٢. وينظر أيضاً: محسن أبو الحب، ديوان أبو الحب الكبير: ١٢٥، ١٢٧. وينظر أيضاً: راضي القزويني، ديوان راضي القزويني: ٦٦. وينظر أيضاً: يعقوب الحاج جعفر، ديوان الشيخ يعقوب الحاج جعفر: ١٧. وينظر أيضاً: حسن مصبح الحلي، ديوان الشيخ حسن مصبح الحلي، تحقيق مضر سليمان الحلي، مراجعة وضبط مركز تراث الحلة، قسم شؤون المعارف الإسلامية والإنسانية في العتبة العباسية المقدسة، دار الكفيل للطباعة والنشر والتوزيع، كربلاء، العراق، ط١، ٢٠١٩م: ٥٩-٦٠. وينظر أيضاً: حيدر الحلي، ديوان السيد حيدر الحلي،

تحقيق: مضر سليمان الحلي، منشورات شركة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠١١م: ٣٩-٤٨.

٥٤. ينظر: جميل موسى النجار، العلاقات العثمانية الإيرانية تطوراتها وتأثير العراق العثماني فيها وانعكاسها عليه (١٨٢٣-١٨٧٥م)، دار ومكتبة عدنان للطباعة والنشر والتوزيع، العراق- بغداد، ط١، ٢٠١٦م: ٢٩٥-٢٩٦.

٥٥. ينظر: ديلك قايا، كربلاء في الأرشيف العثماني دراسة وثائقية (١٨٤٠-١٨٧٦م)، ترجمة: حازم سعيد منتصر ومصطفى زهران، إشراف وتقديم: زكريا قورشون، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ط١، ٢٠٠٨م: ٩٧.

٥٦. ديلك قايا، المصدر نفسه: ٣٤٥-٣٤٦.

٥٧. ينظر: عبد الباقي العمري، الترياق الفاروقي: ١١٢، ١٨٦، ١٨٧، ٢٤٤، ٢٤٥، ٣٢٦، ٤٢٨. وينظر أيضاً: عبد الغفار الأخرس، ديوان الأخرس: ٤٧، ٨٧، ٦٠٨. وينظر أيضاً: جعفر الحلي، سحر بابل وسجع البلابل: ١٠٥، ٢٧٥، ٤١٢. وينظر أيضاً: جواد بدقت الأسدي، ديوان جواد بدقت: ٢٩. وينظر أيضاً: جابر الكاظمي، ديوان الشيخ جابر الكاظمي: ٣٥١.

٥٨. ينظر: ديلك قايا، كربلاء في الأرشيف العثماني: ٣٦٤.

٥٩. ينظر: حامد رضائي، شيخ العراقين الشيخ عبد الحسين الطهراني الحائري، ترجمة: حسن علي حسن مطر، اختصره وضبطه ووضع فهارسه مركز تراث كربلاء قسم المعارف الإسلامية والإنسانية، دار الكفيل للطباعة والنشر والتوزيع، كربلاء، العراق، ط١، ١٤٤٠هـ، ٢٠١٩م: ٢٣٧-٢٣٨. وينظر: محمد حسين الحسيني الجلالي، فهرس التراث، دليل ما للنشر والتوزيع، قم، إيران، ط١، ١٤٢٢هـ: ١٦٧/٢.

٦٠. ينظر: جابر الكاظمي، ديوان الشيخ جابر الكاظمي: ٢٨، ٣٥، ١٨٠، ٣٥٥. وينظر أيضاً: موسى الطالقاني، ديوان الطالقاني: ٢٧٨. وينظر أيضاً: راضي القزويني، ديوان راضي القزويني: ١٢٥-١٢٦. وينظر أيضاً: عبد الباقي العمري، الترياق الفاروقي: ٤٠٨.

قائمة المصادر والمراجع

١. إبراهيم الوائلي، الشعر السياسي العراقي في القرن التاسع عشر، مطبعة المعارف، بغداد، ط٢، ١٩٣٨هـ-١٩٧٨.

٢. أبو الثناء الآلوسي، الصادح بشهي النغم على أفنان ترجمة شيخ الإسلام وولي النعم، مخطوط منشور موقع مخطوطات الأزهر الشريف، مصر، http://www.alazharonline.org، رقم النسخة:٣٢٥٥٩٢/ أدب.
٣. أبو الثناء الآلوسي، غرائب الاغتراب ونزهة الألباب، مطبعة الشابندر، بغداد، ١٣٢٧هـ.
٤. أحمد عبد الحي، الشاعر والسلطة، أبتراك للنشر والتوزيع، القاهرة، ط١، ٢٠٠٤م.
٥. آن كارسن، اقتصاد ما لا يضيع: قراءة سيمونيدس الكيوسي مع باول تسيلان، ترجمة: علي مزهر، مراجعة: حسن ناظم، سلسلة دراسات فكرية-جامعة الكوفة، دار الرافدين، بيروت، ط١، ٢٠١٨م.
٦. جابر الكاظمي، ديوان الشيخ جابر الكاظمي ١٢٢٢-١٣١٢هـ، تحقيق: محمد حسن آل ياسين، مطبعة المعارف، بغداد، ط١، ١٩٦٤م.
٧. جعفر الحلي، سحر بابل وسجع البلابل: ديوان السيد جعفر الحلي، تحقيق الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء، مطبعة العرفان، صيدا، لبنان، د.ط، ١٣٣١هـ.
٨. جعفر النقدي، تاريخ الإمامين الكاظمين عليهما السلام وروضتهما الشريفة، المطبعة العربية، بغداد، ١٣٦٩هـ.
٩. جميل صدقي الزهاوي، ديوان الكلّم المنظوم، دار مصر للطباعة، ١٩٥٥.
١٠. جميل موسى النجار، الإدارة العثمانية في بغداد من عهد الوالي مدحت باشا إلى نهاية الحكم العثماني ١٨٦٩-١٩١٧م، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط١، ١٩٩١.
١١. جميل موسى النجار، العلاقات العثمانية الإيرانية تطوراتها وتأثير العراق العثماني فيها وانعكاسها عليه (١٨٢٣-١٨٧٥م)، دار ومكتبة عدنان للطباعة والنشر والتوزيع، العراق- بغداد، ط١، ٢٠١٦م.
١٢. جواد بدقت الأسدي، ديوان الحاج جواد بدقت الأسدي المتوفى سنة (١٢٨١هـ)، تحقيق سلمان هادي آل طعمة، مؤسسة المواهب للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٩م.
١٣. حامد رضائي، شيخ العراقين الشيخ عبد الحسين الطهراني الحائري، ترجمة: حسن علي حسن مطر، اختصره وضبطه ووضع فهارسه مركز تراث كربلاء قسم المعارف الإسلامية والإنسانية، دار الكفيل للطباعة والنشر والتوزيع، كربلاء، العراق، ط١، ١٤٤٠هـ، ٢٠١٩م

١٤. حسن مصبح الحلي، ديوان الشيخ حسن مصبح الحلي، تحقيق مضر سليمان الحلي، مراجعة وضبط مركز تراث الحلة، قسم شؤون المعارف الإسلامية والإنسانية في العتبة العباسية المقدسة، دار الكفيل للطباعة والنشر والتوزيع، كربلاء، العراق، ط١، ٢٠١٩م
١٥. حسين عبد الأمير مرعشي، الفكر السياسي الإيراني في عصر القاجار وانعكاساته في الشعر العربي (قصيدة نصيري أميني في مدح ناصر الدين شاه أنموذجاً)، بحث منشور في مجلة العميد، العتبة الحسينية، كربلاء المقدسة، السنة الثامنة، المجلد الثامن، العدد التاسع والعشرون.
١٦. حيدر الحلي، ديوان السيد حيدر الحلي، تحقيق: مضر سليمان الحلي، منشورات شركة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠١١م
١٧. ديلك قايا، كربلاء في الأرشيف العثماني دراسة وثائقية (١٨٤٠-١٨٧٦م)، ترجمة: حازم سعيد منتصر ومصطفى زهران، إشراف وتقديم: زكريا قورشون، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ط١، ٢٠٠٨م.
١٨. راضي القزويني، ديوان السيد راضي القزويني، دراسة وتحقيق: حسن عبد الهادي الدجيلي وفهد نعيمة مخيلف، دار الفراهيدي للنشر والتوزيع، بغداد، ط١، ٢٠١٤م
١٩. رفائيل بطي، الأدب العصري في العراق العربي- قسم المنظوم، المطبعة السلفية، مصر، ١٩٢٣م.
٢٠. سجاد شعبان حسن، الشعر العربي في العراق في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر دراسة في ضوء النقد الثقافي، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية التربية للعلوم الإنسانية، جامعة البصرة، إشراف حسين عبود حميد الهلالي، ٢٠١٧م.
٢١. صالح التميمي، ديوان التميمي، باعتناء وتحقيق: محمد رضا السيد سليمان وعلي الخاقاني، مطبعة الزهراء، النجف، د.ت.
٢٢. عباس العزاوي، تاريخ العراق بين احتلالين، الدار العربية للموسوعات، بيروت، د.ت.
٢٣. عبد الباقي العمري، الترياق الفاروقي، دار النعمان للطباعة والنشر، النجف الأشرف، ط٢، ١٩٦٤م.
٢٤. عبد الغفار الأخرس، ديوان الأخرس، تحقيق الخطاط وليد الأعظمي، مكتبة النهضة العربية، بيروت، ط١، ١٩٨٦م.

٢٥. عبد الفتاح بن سعيد الشواف البغدادي، حديقة الورود في مدائح أبي الثناء شهاب الدين السيد محمود، مخطوطات جامعة الرياض، العدد: ٨ ر٨١٠/ ح . ب، المجموعة الأدبية.
٢٦. عبد الله الغذامي، النقد الثقافي قراءة في الأنساق الثقافية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط٤، ٢٠٠٨م.
٢٧. علي الخاقاني، شعراء الغري أو النجفيّات، المطبعة الحيدرية، النجف، (د.ط)، ١٩٥٤م.
٢٨. علي الخاقاني، شعراء بغداد من تأسيسها إلى اليوم، مطبعة أسعد، بغداد، ١٩٦٢م.
٢٩. علي الخاقاني، من شعراء القرن التاسع عشر الشيخ جابر الكاظمي، بحث منشور في مجلة الدليل، العدد الأول، السنة الأولى، النجف، ١٩٤٦م.
٣٠. علي الوردي، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث، دار الراشد، بيروت، لبنان، ط٢، ٢٠٠٥م .
٣١. ماري باتريك، سلاطين بني عثمان الخمسة، ترجمة: مركز المؤسسة، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ط١، ٢٠١١م.
٣٢. محسن أبو الحب، ديوان الشيخ محسن أبو الحب الكبير، تحقيق جليل كريم أبو الحب، منشورات مركز كربلاء للدراسات والبحوث، دار الوارث للطباعة والنشر، كربلاء، العراق، ط١، ٢٠١٥م.
٣٣. محسن الأمين العاملي: أعيان الشيعة، حققه وأخرجه حسن الأمين، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، د.ط، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
٣٤. محمد حسين الحسيني الجلالي، فهرس التراث، دليل ما للنشر والتوزيع، قم، إيران، ط١، ١٤٢٢هـ.
٣٥. محمد مهدي البصير، نهضة العراق الأدبية في القرن التاسع عشر، مطبعة المعارف, بغداد، ١٩٤٣م: ١٧٣.
٣٦. مصطفى الواعظ، الروض الأزهر في تراجم آل السيد جعفر، مطبعة الاتحاد، الموصل، ١٩٤٨م.
٣٧. موسى الطالقاني، ديوان السيد موسى الطالقاني، تحقيق محمد حسن الطالقاني، مطبعة الغري الحديثة، النجف ، ١٩٥٧م.

٣٨.هاشم الأعظمي، تاريخ جامع الأمام الأعظم ومساجد الأعظمية، مطبعة العاني، بغداد، ١٩٦٤م
٣٩. يعقوب الحاج جعفر، ديوان الشيخ يعقوب الحاج جعفر النجفي الحلي (١٢٠٧-١٣٢٩هـ)، عني بجمعه والتعليق عليه ولده محمد علي اليعقوبي، مطبعة النعمان، النجف، ط١، ١٣٨٢هـ، ١٩٦٢م.
٤٠. يوسف عز الدين، الشعر العراقي أهدافه وخصائصه في القرن التاسع عشر، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، د.ط، ١٩٦٥م.